



صورة الزمن عند الإمام ابن باديس



- عنوان الكتاب: صورة الزمن عند الإمام ابن باديس
- اسم المؤلف: د. محمد باباعمي
- الطبعة الأولى: 1438 هـ - 2017 م
- مقاس الكتاب: 105 × 165
- عدد الصفحات: 48
- رقم الإيداع:
- ردمك: ISBN

محفوظ
جميع الحقوق

Copyright © 2017 Kitabook



Cité Ghaalloul, Bordj El Bahri, Alger

Tél: 023.957.273 E-mail : Info@kitabook.net

د. محمد باباعمي

صورة الزمن
عند الإمام ابن باديس



صورة الزمن عند الإمام ابن باديس

«الرشيد الرشيد مَنْ أحسن
استعمال ذلك الكنز الثمين، فعمّر
وقته بالأعمال...
والسفيهُ السفيه مَنْ أساء التصرف
فيه، فأخلى وقته من العمل»...

■ ■ تمهيد

توشك «صورة الزمن»⁽¹⁾ أن تفضح صاحبها،
فتكشف عن خفايا فكره، وتُبلي خبايا فعله؛ فحين

(1) وانظر: محمد باباعمي: صورة الزمن، محمد إقبال وفتح الله
كولن نموذجاً؛ ضمن كتاب «الزمن والوقت»، دار النيل، تركيا؛
2013م. ص 73 وما بعدها.

ÉTIENNE KLEIN, *Le facteur temps ne sonne jamais deux fois*. Flammarion, Paris, 2009.

تصمّت اللغة، وتفقد الألفاظ مفعولها⁽¹⁾؛ وحين تتلاطم أمواج الزمن، حاملةً الأصداف من القاع، أو كاشفة عن الزبد الذاهب جُفاءً؛ حينها فقط يُعرّف العالم حقّ المعرفة: أهو من «علماء الحُسن والإحسان»، أم أنه من «علماء السوء والبهتان».

الإمام ابن باديس، علامةٌ فارقةٌ، ونقطة تحوّل، في خطّ الزمن؛ هو نقطة انعطاف⁽²⁾ لا تخفى على المراقب البصير لحركة التاريخ المعاصر؛ ومن ثم كان «للشريحة الزمنية» التي يقف عليها، والتي صاغ - هو ومن معه - بعضاً من معالمها، كان لها الأهمية القصوى في فهم الماضي، واستيعاب الحاضر، والتخطيط للمستقبل.

(1) وانظر: Edward T. Hall, *Le langage silencieux*, Points, Paris, 1984.

(2) نقطة الانعطاف أو الانقلاب (turning point): رياضياً هي النقطة الواقعة في منحنى، يقع عندها التغير في الاتجاه؛ وقد وظّف هذا المفهوم حضارياً في مقال بعنوان: «في نقطة الانعطاف، ابن سينا نموذجاً».



سنعمدُ في هذا البحث إلى «تراث الإمام ابن باديس»⁽¹⁾، وإلى ما كُتب عنه من مقالات، وما نُقل عنه من شهادات؛ لننقب عن «الآثار» التي تصوّر الوقت والزمن، والتي تدلُّ على «النماذج الإدراكية الكامنة»⁽²⁾ لصاحبها، ذلك أنَّ التحوُّل غالباً لا يُكتشف إلا من خلال «الحفر المعرفي»، وتلك مهمّة نقرُّ ابتداءً بصعوبتها، بل باستحالتها، في مقالٍ واحد، من باحث مفردٍ؛ ولكنها الدعوةُ إلى أن نولي الموضوع اهتماماً «جمعيّاً وجماعيّاً»، من مداخل شتى: علم البرمجة الزمنية، فلسفة العلوم، نظرية المعرفة، علوم اللغة، تاريخ العلوم، الدراسات الحضارية، العلوم الزمنية، علم اجتماع

(1) آثار الإمام عبد الحميد بن باديس؛ الطبعة الأولى، وزارة الشؤون الدينية؛ 1406هـ / 1985م. وقد اعتنى بها بخاصّة الأستاذان محمد الصالح الصديق، ومحمد الهادي الحسني.

(2) النموذج الإدراكي الكامن: هو النموذج المعرفي غير الواعي، أي النموذج الذي يُوجّه سلوك الناس دون أن يعوا وجوده، فهو يُشكّل رؤيتهم للكون. وهو مفهوم نحته عبد الوهاب المسيري في موسوعة اليهود واليهودية، المقدمة.



العلوم، علوم الإدراك، علم اجتماع الفراغ، مناهج
تحليل النصّ... وغيرها كثير.



1. عمارة الوقت بين الرشد والسفه

«الوقت وعاء خَلِقَ لِيُعْمَرَ، والفراغ هو عدوُّ الإنسان» تلكم هي الصورة الإدراكية للزمن عند الإمام ابن باديس، فليس الزمن عنده «سيفًا»، ولا هو «مِنْ ذهب» كما هو معتاد في الأدبيات العربية الكلاسيكية، ولا هو «مالٌ» كما يَصوِّر في المثل الإنجليزي والغربيِّ بعامة؛ ذلك أنَّ الزمن محايدٌ، والذي يصنع قيمته هو «فعلُ الإنسان»، أمَّا صورة «السيف» فهي صورة «عداءٍ وترقُّبٍ وخوفٍ» مِنَ الزمن، أن يقطعك إذا أنت لم تقطعه.

وأمَّا صورة «المال والذهب» فهي أقرب ما تكون إلى الرؤية المادية الصَّرفة، وهي صورة دافعة إلى تحصيله وكنزه؛ فضياعه ضياعٌ للمال وللذهب، واكتسابه غنى وثراءٌ، وعلى عتبات هذه الرؤية الكونية يضيع النفسُ الإنسانيُّ، ويتبخَّر البعد الإيمانيُّ، ولا يبقى للعمق الأخلاقيُّ أيُّ معنى إلَّا

ما تبرّره الغاية من وسيلة، وما تستدعيه الفلسفة
الوضعية من محسوس ومحسوب.

إلا أن صورة «العمار» هي الصورة المفسّرة لمفهوم
«النعمة» الوارد في الحديث الشريف؛ والنعمة في
ذاتها لا تكتسب المعنى إلا بإسنادها إلى «المنعم»،
وهو الله سبحانه وتعالى؛ ثم باعتبار طريقة تلقّيها من
«المنعم عليه» أي الإنسان؛ فإن هو شكر كان أهلاً
لها، وإن هو كفر فإن العذاب الشديد من الله تعالى
يحيق به: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رَبُّكُمْ لِنِ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ^١
وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: 7].

في شرح الحديث المروي عن ابن عباس رضي الله عنه،
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من
الناس: الصحة والفراغ»⁽¹⁾، يقول الإمام ابن باديس:
«إنَّ عُمُرَ الإنسان أنْفُسُ كنزٍ يملكه، ولحظّاته
محسوبةٌ عليه، وكلُّ لحظة تمرُّ معمورة بعملٍ مفيدٍ
فقد أخذ حظّه منها وربحها، وكلُّ لحظة تمرُّ فارغة

(1) رواه البخاري في صحيحه، عن ابن عباس. ورواه الترمذي وابن
ماجة، وغيرهما.



فقد غبن حظّه منها وخسرّها... فالرشيد الرشيد
مَنْ أحسن استعمال ذلك الكنز الشمين، فعمّر وقته
بالأعمال، والسفيه السفیه مَن أساء التصرف فيه،
فأخلى وقته من العمل»⁽¹⁾.

وفي سياق تفسير ابن باديس لقول الله تعالى:
﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ
قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [الإسراء: 78]، يقول:

«في ربط الصلاة بالأوقات»⁽²⁾، تعلیم لنا لنربط



(1) ابن باديس: مجالس التذكير، ج2، ص138. محمد الصالح
الصدیق: الشيخ ابن باديس، من آرائه ومواقفه؛ ص87. مصطفى
محمد حميداتو: عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، كتاب
الأمة، رقم57، وزارة الأوقاف، قطر، 1997.

(2) انظر: محمد إقبال: تجديد الفكر الديني؛ فصل بعنوان «مفهوم
الألوهية ومعنى الصلاة»؛ ترجمة يوسف عدس؛ مكتبة
الإسكندرية، مصر؛ 2011م؛ ص107 وما بعدها. ويقول
علي عزت بيجوفيتش: «ليست الصلاة مجرد تعبير عن موقف
الإسلام من العالم، وإنما هي انعكاس للطريقة التي يريد
الإسلام بها تنظيم العالم»، الإسلام بين الشرق والغرب؛ ترجمة
يوسف عدس؛ مؤسسة بافاريا، ألمانيا؛ 1993. ص293.



أمورنا بالأوقات، ونجعل لكل عمل وقته، وبذلك ينضبط للإنسان أمر حياته، وتطرد أعماله، ويسهل عليه القيام بالكثير منها. أمّا إذا ترك أعماله مهملة غير مرتبطة بوقت، فإنه لا بدّ أن يضطرب عليه أمره، ويشوش باله، ولا يأتي إلّا بالعمل القليل، ويحرم لذة العمل، وإذا حُرِمَ لذة العمل أصابه الكسل والضجر، فقلّ سعيه، وما كان يأتي به من عمل على قلبه وتشوشه، بعيداً عن أي إتقان»⁽¹⁾.

هذا النصّ - في تحليله - يقوم شاهداً على عمق مناهج «إدارة الوقت والبرمجة الزمنية»⁽²⁾ عند ابن باديس؛ ذلك أنه يشير بصراحة إلى قانون «لكل عمل وقته»⁽³⁾، وإلى مدلول «اطّراد الأعمال ودوامها»⁽⁴⁾، ويحذّر من مغبة «الاضطراب والتشوش والسبھلة»؛

(1) مجالس التذكير: تفسير سورة الإسراء.

(2) وانظر: محمد باباعمي: أصول البرمجة الزمنية في الفكر الإسلامي، مقارنة بالفكر الغربي؛ دار صفحات، دمشق؛ 2007م.

(3) باباعمي: أصول البرمجة؛ قاعدة العمل في وقته؛ ص 376.

(4) نفس المرجع؛ قاعدة المداومة؛ ص 362.

ثم يربط ذلك «بالزمن النفسي»⁽¹⁾ أي «لذة العمل»، و«الضجر»، ثم تأتي النتيجة العملية وهي «الكسل» و«قلّة السعي» نتيجة طبيعية للمقدمات؛ وينتهي بمبتغى العمل وصفته اللصيقة، التي هي «الإتقان». ولا يمكن أن نغفل - في بحثنا هذا - ملاحظة وردت على الإمام الزمخشري، حول قصيدة من نظمه، جاء في مطلعها:

وأخّرني دهري، وقدّم معشرا

على أنهم لا يعلمون، وأعلم

قال ابن باديس ناقدًا، بأدب جمٍّ، واعتراف بقدر العالم: «ما كان ينبغي للزمخشري، على فضله وعلمه، واقتداء الناس به، أن يتضجّر من الدهر،

(1) حول الزمن النفسي، انظر: محمد باباعمي: مفهوم الزمن في القرآن الكريم؛ دار الغرب الإسلامي، بيروت؛ 2000م. ص 281.

وبهذه الطريقة التي لا تجيزها آداب الإسلام⁽¹⁾.
ولا ريب أنَّ «صورة الزمن» من خلال أدبيات
الإمام، تفسيراً للقرآن الكريم، وشرحا للحديث
النبوي الشريف، وبياناً فكرياً وأدبياً في الخطب
والمقالات، تستدعي عملاً ليس مقامه المقالة، ولا
شأنه الاختصار؛ ولكن تكفي هذه المقدمة، للنظر
في الحياة اليومية للشيخ ابن باديس؛ ومدى تمثُّل
ذلك في بحر الزمن عنده.



(1) محمد الصالح الصديق: المصلح المجدد، الإمام ابن باديس،
ص 174؛ ابن باديس من آرائه ومواقفه، ص 44. وفي الحديث
القدسي الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال
رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم، يسبّ الدهر وأنا
الدهر أقلب الليل والنهار».



عُمْرُ الإمامِ قصيرٌ، مباركٌ

2.

وُفِّقَ الأستاذ محمد الصالح الصديق أيّما توفيق، بتمهيدِهِ لكتاب «المصلح المجدّد»، بدرر عنونها: «تمهيدٌ في مقياس حياة الإنسان»⁽¹⁾، وفيها بيّن أنّ «المقياس»⁽²⁾ الأوّل للحياة هو عددُ السنين التي يعيشها الإنسان، ووصفه أنه «مقياس سطحيٌّ غير كافٍ، بل هو غير صحيح».

ثم عرض مقاييس⁽³⁾ أخرى لا تقلُّ هشاشةً وخواءً،

(1) ص 12.

(2) حول مقاييس البرمجة الزمنية، انظر: باباعمي: أصول البرمجة الزمنية؛ فصل الأهداف والغايات في الفكر الغربي؛ ص 152 وما بعدها.

(3) يقول مارسيل بروس (Marcel Proust): «إنّ عليك أن تعيش على هذه الساعات الأربعة والعشرين لوقتكَ اليوميّ، من بينها عليك أن تغزل الصحة، والسرور، والمال، والقناعة، والاحترام، والتطور لروحك الخالدة». الدعبي حسين: أقلام كتبت عن الوقت والعمل؛ سلاسل سوفينير، دار الراتب الجامعية، بيروت؛ ص 9.



منها «مقياسُ اللذة والبسطة والشهرة التي يتمتع بها المرء خلال عمره»، ومقياس «المال والعقار والغنى»؛ ثم دَلَّل على أنَّ هذا المقياس كذلك لا يُعتدُّ به.

وينتهي إلى المقياس الوحيد «الذي أجمع عليه ذوو البصائر والألباب عبر العصور، وجرت عليه الأمم والشعوب في كلِّ أطوارها، هو منفعةُ تلك الحياة للمجتمع؛ فأنفع الناس لأوطانهم ومجتمعاتهم وللإنسانية عامة، هم الأحياء حقًّا» ثم ربط الأستاذ المؤلف ذلك «بروح الله تعالى» وبمفهوم «الإنسان الكامل».

وابن باديس عاش عمرا قصيرا، وهو بالمقاييس الكمية - أي «طول العمر»، و«اللذة والمتعة»، و«المال والغنى» - هو بهذه المقاييس جميعًا، لا فضل له على أحدٍ ولا تمييز؛ ولكن بالنظر إلى نفعه لدينه، ولأُمَّته، وتفانيه في عبادة ربِّه حقَّ العبادة، يُعدُّ رمزا ومثالا يُحتذى، قلَّ له نظير في القرون المتأخرة.

وإني كلَّما حاولت أن أقارن بين برنامجي اليومي وبرنامج الإمام استحييتُ من تفريطي، وندمت على ضياع الوقت من الساقية المتشقة في عمري، وأحسب كلَّ عاملٍ في حقل العلم والدعوة يجد الذي أجده، ويقرُّ بما أقررتُ به.

والبركة في عمر الشيخ ابن باديس، رغم قصره، ورغم كثرة الضغوط عليه، ترشَّح رشحا من إخلاصه، وصبره، وتفانيه؛ وبجملته من المهام التي تولَّاهَا، وهي في ذاتها تمثل الفرق بينه وبين غيره، وعلى رأس تلك المهام النبيلة «تعليم الكبار والصغار»؛ ولقد التقى في حلقاته مئات الطلاب، من جميع «عمالات» الجزائر، وبكلِّ المستويات.

ولا ننسى حلقة الدرس من «تفسير كلام الله تعالى»، و«شرح حديث الرسول الكريم ﷺ»، و«الخطب الملتهبة في المحافل والمجامع والملتقيات»؛ وهي دروس أطالت عمرَ الشيخ، وأمدَّته بأثر لا يزال ينشر عبيره على الأرجاء، معانٍ، ومؤلفات، ومواقف يذكر فتذكر.



وللأسفار المتواصلة خارج الوطن ابتداءً، ثم داخل الوطن بلا انقطاع، كلَّما تحيَّنت له الفرصة؛ أثرها الطيب على حركة الإمام؛ ويكفي أن نقرأ التقارير التي نشرت في جريدة الشهاب بخاصة، والتي كتبها مرافقه الفضيل الورتلاني⁽¹⁾ أحياناً؛ حتى ندرك مدى أثر السفر على البركة في العمر.

وابن باديس يتَّصف بجملة من الصفات التي ميَّزته عن غيره، ودفعت به أن يكون الرائد الإمام، وأن يكون له من الأتباع والمريدين ما لا يُحصى، وفي وقت قصير؛ ومن هذه الصفات «التفويض»⁽²⁾ بخاصة في التعليم؛ وكذا «روح الجماعة»⁽³⁾ التي طالما نادى بها، وعمل تحت رايتها، فأثمرت

(1) آثار ابن باديس؛ (4/ 219 وما بعدها).

(2) Jean-Ange LALLICAN, *L'art de déléguer, Manager dans la confiance*, collection: *Stratégies et management*, Dunod, Paris, 2015.

(3) ميشال دوبوا (Michel Dubois): مدخل إلى علم اجتماع العلوم؛ ترجمة سعود المولى؛ المنظمة العربية للترجمة؛ 2008.



«جمعية العلماء المسلمين الجزائريين»⁽¹⁾ نموذجًا ومثالا في التغيير، قلَّ له نظير في العالم الإسلامي. ثم صفةُ التخطيط، والدعوة إلى النظر البعيد وصوغ الاستراتيجيات.

ونظرة مقتضبة في البرنامج اليومي للإمام، تفضح المنظرين السطحيين، وتدعو إلى إعادة صياغة «البرمجة الزمنية» وفق أسس أكثر عمقا، وأبعد غورًا.



(1) جمعية العلماء باعتبارها «متَّحدا علمياً» هو مدخل منهجي لم يتلقَّ العناية اللازمة بعد، وليس المطلوب اليوم تأليف نصوص وصفية للجمعية، بقدر ما تلحُّ الحاجة إلى دراسات معرفية متخصصة؛ للأسف لم نحظ بها بعد في سياقنا الوطني والعربي، ولا حتى من قبل باحثين عالميين.

3. البرنامج اليومي للإمام ابن باديس

- كم ساعة يعمل الإمام ابن باديس يوميًا؟ ومتى يلوذ إلى الراحة؟ وكم ساعة ينام؟
 - وكيف يقسم يومه؟ وما هي المحطات الثابتة في يومه؟ وما هي المحطات المرنة المتغيرة؟
 - وكيف يمارس الجمع بين الحاجات الأسرية والأهداف العلمية والدعوية والحضارية؟
 - وما هي الحدود الفاصلة بين عمله وراحته؟ بين حق نفسه، وحق أهله، وحق أمته؟
- هي أسئلة كثيرة، طرحناها على المصادر أولًا، ثم على بعض من تمرّس فكر الإمام، وبرز في المعرفة بتفاصيل حياته؛ فاهتدينا إلى ما به تحقّقنا أنّ صورة الزمن عند الإمام مكثّفة، ثريّة، مختلفة عن المعتاد؛ موائمة لمقدماته النظرية، وقناعاته الفكرية، وإيمانه الصلب والعنيد.
- فهو لم يكن يكتب عن أهمية الحركة وإعمار

الوقت لمجرّد التفكُّه، أو الشرح اللغوي والأسلوبي والنظري؛ وإنما كان يرسم لنفسه، ولمن معه، ولمن على إثره، خطّ السَّير، ويفتح لهم الآفاق الرحبة للتغيير، لا على أساس من الادّعاء، ولكن على قواعد من فقه الاقتداء.

(أ) • حلقة الدرس

كان ابنُ باديس لا يغادر المسجد، ولا يتخلّف عن حلقة الدرس؛ ولقد ذكّر في مقال له بجريدة الشهاب ما نصه: «لقد مات ابني الوحيد، ومات أخٌ لي عزيزٌ، فما شغل ذلك بالي مثل اليوم، ولا منعني من دروسي وأعمالي»⁽¹⁾.

ينقل الأستاذ محمد الصالح رمضان أن الإمام كان «يقضي بياض نهاره وزلفا من ليله - غالبا - في إلقاء الدروس، واحدا تلو الآخر، وقد يصل عددها إلى

(1) الشهاب، ج 6، م 15، جمادى الثانية، 1358هـ/ جُوليت 1939م. الهادي الحسني، حوار في بيته بالبليدة؛ أفريل 2016.

ثلاثة عشر درسا في اليوم الواحد»⁽¹⁾، ويؤكد هذا ما ورد في جريدة البصائر عدد 28 جانفي 1938م، أن «الأستاذ الرئيس يباشر هذه الأيام خمسة عشر درسا يوميا».

ولقد عُرف عن الشيخ أنه «كان يحافظ على الوقت بصفة مشيرة، بحيث لا تراه إلا معلما، أو محاضرا، أو كاتبا، أو قارئاً، أو ساعيا إلى زرع الخير... وحتى وهو راكب في القطار إلى الجزائر أو منها إلى قسنطينة، فإنه كان يقرأ أو يكتب أو يتلو القرآن»⁽²⁾.

وفي شهر رمضان يزداد نشاط الشيخ ابن باديس، وتزداد حيويته، فيُضيف إلى دروسه درسا في شرح البخاري عادة؛ كما هو التقليد في التراث المغربي بعامة.

وعلى رأس دروسه المسجدية درسُ التفسير، وهو درس يُلقى يوميا بعد صلاة العشاء في الجامع

(1) رمضان: المصلح المجدد، ص 193.

(2) نفس المرجع؛ ص 194.

الأخضر، ما عدا يوم العطلة الأسبوعية...
 أمّا عن حجم الدرس، فالغالب هو التقصير
 وعدم التطويل، ويلاحظ ذلك في دروسه المنقولة
 في الشهاب خاصّة، والتي قد لا تزيد على ساعة
 واحدة للدرس الواحد؛ بخاصة لو حسبنا ثلاثة
 عشر حلقة في اليوم، فالمعدّل الخام هو ثلاثة عشر
 ساعة (13 سا)، عدا التحضير، وما بين الأوقات،
 والصلوات، واللقاءات، والتأليف.

وتوثّق الشهادات أنّ آخر درس ألقاه الشيخ قبل
 وفاته كان درساً للنساء، ذكر ذلك في رسالة كتبها
 أحمد بوشمال، وهو مرافق ابن باديس وأعرف
 الناس به؛ والرسالة كتبها بعد ثلاثة أيام من وفاة
 الشيخ، ونقلها الأستاذ محمد الهادي الحسني في
 كتابه «أشعة الشروق» موثّقة، وفي الرسالة وصف
 بليغ لآخر ثلاثة أيام في حياة الشيخ ابن باديس⁽¹⁾.

(1) نقل عن الشيخ محمد الصالح ابن عتيق، وكذا الأستاذ محمد
 الهادي الحسني.

(ب) • التأليف والكتابة

كتب الإمام ابن باديس معتذرا لقراء «الشهاب» عن تتميم حلقات «مجالس التذكير» التي تعودوا قراءتها في كلِّ عدد، فجاء الاعتذار متضمنا لوقت الكتابة عنده، وهي غالبا «طرفي النهار وزلفا من الليل»، ونصُّ الاعتذار هو:

«ما قرأتموه من التذكير بهذه الآية الكريمة في هذا الجزء، قد كتبتُ شطره مساء الاثنين، وشطره بكرة الثلاثاء الغد منه، وفي صبيحة هذه الثلاثاء ابتدئت المحاكمة في قضية المفتي ابن دالي التي اتُّهم فيها الشيخ الطيب العقبي، والسيد عباس التركي باطلا، ظلما، عدوانا، فكان من واجبي أن أحضر جميع الجلسات، فانشغل بالي عن تتميم مجالس التذكير... إنَّ هذه القضية اليوم هي قضية الإسلام والعربية والجزائر، لا قضية فرد أو جماعة، فمعدرة يا قرائي الأعزة، والله نسأل أن يُظهر الحقَّ ويبطل



الباطل»⁽¹⁾.

ومع ذلك فقد ترك الإمام موسوعة مؤلفة من التفسير، والحديث، والمقالات، والشعر، والتقارير؛ للأسف لم تنل العناية الكافية بعد، رغم الجهود الطيبة التي بذلت في نشرها⁽²⁾.

(ت) • الطعام

حدّث السيد شريفني عمرو صاحب المكتبة الجزائرية بالعاصمة، وهو ممن عاشروا الإمام عبد الحميد، وعرفوا عنه الكثير، ما مؤداه:

«خرج الشيخ من مقصورتَه بجامع سيدي قموش بقسنطينة ذات يوم، فطلب من السيد زواوي مولود، وهو من تجار بني عباس، أن يبحث عمّن يشتري له نصف لتر من اللبن، وأعطاه آنية، فرآها فرصة لإكرام

(1) الشهاب، ج 6، م 15، جمادى الثانية 1358هـ/ جويلت 1939م.

(2) الإشارة طبعا إلى جهود الأستاذين محمد الصالح الصديق، والهادي الحسني، في نشر (6) ست مجلدات من مؤلفات الإمام؛ ويعتذر الأستاذ الحسني بقوله: «للأسف لم نعتن بتراث الإمام بالقدر الذي يليق بمقامه».



الشيخ، فذهب بنفسه إلى شواء واشترى صحنًا من اللحم المختار، فعاد إلى الشيخ وهو يكاد يطير من شدة الفرح، ولما قدّمه إليه استشاط الشيخ غضبًا، وقال له في لهجة شديدة وصارمة: ألا تعلم أنني ابن مصطفى ابن باديس، وأنّ أنواعا مختلفة من الطعام اللذيذ تعدُّ كلَّ يوم في بيته لو أردتُ التمتع بالطعام؛ ولكن ضميري لا يسمح لي بذلك، وطلبتني يسيغون الخبز بالزيت، وقد يأكله بعضهم بالماء»⁽¹⁾.

وفي حوارات متواصلة بتلمسان بين الشيخين ابن باديس والإبراهيمي، ينقل الأستاذ الحسنّي عن الشيخ بومدين التاجر، أنه حين يزوره في تلمسان، يأخذهما في سيارة مغطّاة إلى هضبة «لاله ستي»؛ ثم يقول: «وكنْتُ في منتصف النهار آخذ لهما كِسرَةً وحليبا».

هاتين الشهادتين، وما ورد في تقارير الأسفار لابن باديس، وغيرها مما كتب في مصادر الترجمة؛

(1) محمد الصالح الصديق: ابن باديس، من آرائه ومواقفه، ص 42. الهادي الحسنّي، حوار البليدة، أفريل 2016.

جميعها مُجمعة أنَّ ابن باديس كان مقلًا في الطعام، ولم يكن يمنح وقتا معيناً لغدائه وعشائه؛ ولم يكن يستسيغ الإكثار، وهذا ما يفسّر حفاظه على شبابه وصحته، وحتى على نضاعة وجهه، وقدرته على التحمّل. وهو في هذا سار على سنة الرسول عليه السلام، وعلى أثر الصحابة الكرام، والأئمة الأعلام⁽¹⁾.

(ث) • النوم والراحة

تجمع مصادر «البحوث الزمنية» و«علوم النوم والأرق»⁽²⁾ أنَّ معدّل النوم اليومي يتراوح ما بين ستّ ساعات وثمانى ساعات يوميا (6-8 سا)؛ وأنّ وقت النوم هو الأهمّ، وليس عددُ الساعات؛ ولكنّ المنقول عادة في المراجع المتخصصة هو

(1) وانظر: أبو غدة، عبد الفتاح: قيمة الزمن عند العلماء؛ مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب؛ ط8، 1998م.

(2) Edmond Schuller, *Les INSOMNIES Et Le Sommeil*, Robert Laffont, collection: *comprendre pour guérir*, 1997.

«ثمانى ساعات يومياً»؛ حتى صار كأنه قانون علميٍّ محقق⁽¹⁾.

بهذا المعيار يصنّف الإمام ابن باديس تحت الحدّ الأدنى، ذلك أنه ينام أربع ساعات في اليوم، وذلك من منتصف الليل إلى الرابعة صباحاً، وهو غالب نومه، وهو لا يقيل.

يقول الشيخ عمار مطاطلة، ناقلاً شهادة عن الإمام ابن باديس حين كان طالباً في مدرسته:

«أخذتني سنةٌ فجرَ أحد الأيام، أثناء حلقة الدرس، فقال لي الشيخ: «أفِق»،

فسألني: «متى ظنك أنني نمتُ، في تقديرِك؟»

(1) تكتب جوزيت ليون (Josette Lyon) تحت عنوان: «كم ساعة على المرء أن ينام؟»: «يوجد من ينام طويلاً ومن ينام لفترة قصيرة؛ كما يوجد النهمون ذوو البطون، والمعتدلون في طعامهم. إن حاجة المرء إلى النوم مختلفة بين شخص وآخر. ومحددة وراثياً. ومن اللامعقول القول إنه يلزم المرء (8) ساعات من النوم في الليلة». مائة نصيحة ونصيحة للنوم؛ دار الكتاب العربي، دمشق؛ ترجمة هيثم سرية؛ 1993م. ص 41.

ثم أردف يقول: «نمتُ في منتصف الليل، واستيقظتُ في الساعة الرابعة، وهذا غالب أمري»⁽¹⁾.

(ج) • الرحلات الصيفية

تحت عنوان «للتذكير والتعارف» سجّل ابن باديس أحياناً بقلمه، وأحياناً بقلم تلميذه الفضيل الورتلاني، أسفاراً للإمام ابن باديس عبر مناطق الوطن، شرقها وغربها، شمالها وجنوبها؛ ثم إلى تونس في رحلة من الرحلات؛ والقارئ لهذه المذكرات يكتشف حجم الساعات التي يعمل فيها الأستاذ، واعظاً، ومصلحاً، ومعلماً، ومرشداً، وموجّهاً... وكذا من شروط الرحلة، أن لا تكون الضيافة بأكثر من وجبة واحدة، ولا يُقبل تعدّد أنواع الطعام في الوجبة الواحدة... مما أكسب وقته وأسفاره بركة؛ وكان يتنقل بالحافلة، وبالقطار، وبسيارات بعض الفضلاء... وفي القطار يحرص

(1) الشيخ الهادي الحسني، سمعها رفقة الدكتور قسوم، من الشيخ عمار مطاطلة. (حوار في بيت الحسني، البليدة، أفريل 2016).

أن لا يستقلَّ الدرجة الأولى، وإنما يستقل الدرجة الثانية؛ وكان غالباً إمّا تالياً للقرآن الكريم، وإمّا مطالعا لكتاب، أو محاورا لمن معه في شأن من شؤون الأمة⁽¹⁾.

وللإمام عطلٌ قصيرةٌ، من ذلك مثلاً أنه قضى عطلة في «فوردلو» (برج الكيفان اليوم)؛ منها بعث رسالة إلى الشيخ مبارك الميلي، يهنئه على صدور تاريخ الجزائر في القديم والحديث.



(1) آثار ابن باديس، (4/ 221 وما بعدها).

علم «مضيّعات الوقت»⁽¹⁾ هو من العلوم الزمنية، التي اشتغل بها عدد من العلماء في إدارة الوقت، وفي علم اجتماع الفراغ⁽²⁾، وغيرها؛ وحجر الزاوية في هذا العلم هو «معيّار الضياع من غيره»، فهل وقت الطعام مثلاً من المضيّعات؟ وما هو الحدّ الفاصل في ذلك؟ وهل الترفيه والترويح شرط في البرنامج الزمني؟ أم هو من مضيّعات الوقت التي ساقها هذا العصر؟ ومتى يعتبر الإنسان عاملاً بحق؟

(1) وانظر: أليك ماكينزي وبات نيكerson (Pat Nickerson R. Alec MacKenzie)، مصيدة الوقت (*TIME TRAP*)، فن إدارة الوقت؛ تر. مكتبة جرير؛ سلسلة الكتب التي تصدرت قائمة المبيعات؛ مكتبة جرير، الرياض، 2000م.

(2) Dumazedier Joffre, *Vers une civilisation, du loisir* Éditions du Seuil, Paris, 1972.

عطيات محمد خطاب: أوقات الفراغ والترويح؛ المعارف، القاهرة، 1990.

ومتى يكون عمله تغطية على العمل الحقيقي، أي هو في محل العمل بلا عمل؟
 من هذا المدخل الزمني نطلُّ على حياة الشيخ ابن باديس، سائلين عن «مضيعات الوقت» من وجهة نظره، وحسب مواقفه وحركيته.

(أ) • السينما والترفيه ونشأة الكشافة

يقول الشيخ محمد الصالح الصديق نقلاً عن مرشد الكشافة الإسلامية الجزائرية، التاجر بالقبة، السيد عبد الرحمن سعيدي، قال:

«كنا صبيحة يوم من أيام 1936، بنادي الترقّي، نتجاذب أطراف الحديث عن قضايا وطنية مختلفة، وكان ممن ضمّهم المجلس، الشهيد محمد بوراس، فاحتمد النقاش بيننا، وارتفعت الأصوات، ثم رأى بعضنا أن يهدّئ العاصفة، فاقترح أن نخرج للبحث عن فيلم يليق بنا، كشباب مسلم متطلّع إلى الحرية والكرامة، ولم نكن نعلم أن الشيخ عبد الحميد بن باديس كان في الغرفة المجاورة، وما راعنا إلا أن فتح الباب، وخرج وعلى محيّا بهيمة مشرقة توهي

بالرُضى والاطمئنان، فقال في لهجة آمرة: «لا تدخلوا
السينما فإنها تطفئ عقولكم البصيرة، بل اذهبوا إلى
الطبيعة، وروّحوا عن أنفسكم في أحضانها، وانظروا
فيها نظر المتأمل البصير، والواعي الخبير...».

«قال ذلك وعاد إلى حجرته، فانطلقنا إلى الطبيعة
تدفعنا كلمة الشيخ، ونحن بين معلق عليها، ومستنبط
منها... وفي غابة «زغارة»، رأينا فوجاً من الكشافة
الفرنسية... وهنا التفت إلينا محمد بوراس، وقد
تأثر بكلمات المرشد وأبعادها، فقال: «ما رأيكم في
تكوين كشافة جزائرية مسلمة؟»⁽¹⁾.

فكانت هذه الحادثة شرارة تأسيس «الكشافة
الإسلامية الجزائرية» التي لا تزال إلى اليوم تملأ
الآفاق، وتشغل الآلاف من الشباب في الخيرات
والمبرات.

لنا أن نقيس بالسينما كلّ الوسائل السمعية البصرية
المستحدثة، وكذا شبكات التواصل الاجتماعي؛ ثم

(1) الصديق: ابن باديس، من آرائه ومواقفه؛ ص 46.

نصوغ سؤالاً من صلب رؤية الشيخ ابن باديس، وهو:

• هل هي تنير عقولنا وبصائرنا؟ أم أنها تطفئها وتقتل مواهبنا؟

لا ريب أن القليل مما به الحاجة لا يضر، ولكن الاعتماد عليها، والإدمان في استعمالها⁽¹⁾ من أسوء مضيعات الوقت اليوم، ومن موانع الرقي العلمي والمعرفي، ومن المشبطات على المبادرة والحركة، وهي قاتلة للمواهب في صمت وهدوء.

ثم لنا أن نسأل أنفسنا عن علاقتنا بالطبيعة، وعن الوقت الذي نقضيه فيها، متأملين متفكرين، موحدين الله تعالى مسبحين؟ بخاصة وأن أهل المدن سجناء الجدران، والعمارات الإسمنتية، وضوضاء السيارات... وكل ما من شأنه أن يبلد

(1) وانظر: ماري وين (Marie Winn): الأطفال والإدمان على التلفزيون (*The Plug-In Drug*)؛ سلسلة عالم المعرفة، رقم 247. تر. عبد الفتاح الصبحي؛ المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت؛ 1999م.

حسَّ الإنسان، ويمنعه من التفكير السديد، والحسَّ الرهيف.

(ب) • الجدل والصراع، والسفاسف

كثيرا ما شغل الناس أنفسهم بالجدل العقيم، ولقد وصف الله تعالى عبَادَ الرحمن أنهم لا يضيعون وقتهم في مقارعة الجهَّال، فقال: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: 63]، وقبل ذلك أدب نبيه الكريم، عليه أفضل الصلاة والتسليم، وعلمه كيف يواجه السفه والسف ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [الأنعام: 68].

لم يسلم الشيخ ابن باديس من مثل هؤلاء السفهاء الجهَّال، غير أنه لم يسمح لعمره القصير أن يذهب هباء في مواجهتهم، ولم يكن في ذلك يلومهم، وإنما يلوم نفسه ومن معه إذا هم شغلوا أنفسهم بالسفساف وأهله، فقال في ذلك:

«أيها الإخوة إننا نعمل في النهار الضاحي، والليل المقمر، لمبدإ لا يقلُّ عنهما وضوحا واستنارة، بوسائل لا تقل وضوحا واستنارة كذلك. فلا نعجب



لمن يعارض ويكايد ويماري؛ ولكننا نعجب لأنفسنا ولكم إذا أقمنا لتلك المعارضات والمكايد وزناً، أو شغلنا بها حيناً من نفوسنا، أو أضعنا فيها حصّة من أوقاتنا، وإنّ أدنى ما يغنمه المبطل أن يضيّع الوقت على المحقّق. وإنّي أوصيكم ونفسي في هذا المقام، بأن يكون في حقكم شاغل لكم عن باطل المبطلين، فإذا قام حقكم واستوى، قضيتهم على المبطلين وباطلهم»⁽¹⁾.

وفي الإمكان أن نصوغ قاعدتين ذهبيتين في البرمجة الزمنية، من هذه النصيحة المكثفة والعميقة، وهما:

■ إنّ أدنى ما يغنمه المبطل أن يضيّع الوقت على المحقّق.

■ ليكن في حقكم شاغلا لكم عن باطل المبطلين.

ثم قال الإمام في سياق آخر، ناصحاً محذراً، مربياً

(1) الشهاب، ج 9، م 9، ربيع الثاني، 1352هـ/ أوت 1933م. الصديق: ابن باديس من آرائه، ص 101.



ومعلماً:

«أتمنى لإخواننا المسلمين في كل ناحية أن يشتغلوا بما يهمهم وينفع، ويعلي ويرفع، ويعرضوا عن سفاسف الأمور وبسائط المسائل، فدينهم دين العصمة والمدنية، لا دين الجمود والهمجية. وعصرهم عصر جدّ وفصل، لا عصر لعب وهزل. والمتخلف عن القافلة هو بلا شك عرضة للأتعاب وطعمة للذئاب»⁽¹⁾.

ولو سمح المقام لكان لهذه الفقرة متسع للنظر، ومجالاً لا اعتصار «القواعد الكلية في إدارة الوقت»، وفي الوفاء بواجب العصر، وفي فن الدعوة والإصلاح، من منطلق قرآني إيماني حضاري فريد.

(ت) • قراءة «الأهرام»، في غير وقتها

يذكر الشيخ محمد الصالح رمضان، أنه حين كان طالبا عند ابن باديس، رآه يوما يقرأ الأهرام، فقال

(1) البصائر، 21، 2، 1937م. يومية الشعب: الشيخ ابن باديس في ذكره، ص 87.



له: «لا تشغل نفسك بهذا».
 قال الطالب: «إذن لا أقرأها أبدا».
 قال الشيخ: «لا، ولكن هذا ليس أوانها، اشغل نفسك بما هو أليق بمرحلتك»⁽¹⁾.

من هذه الحادثة المقتضية نستفيد مفهوم «واجب المرحلة»، و«مرحلة الواجب»؛ وكذا ما يمكن إدراجه ضمن «فقه الأولويات»⁽²⁾، و«فقه مراتب الأعمال»، و«فقه الموازنات»، و«فقه الترجيح»؛ وهو باب واسع من أبواب البرمجة الزمنية، المؤصلة من الفكر الإسلامي.

(ث) • السرعة في السير والخطو

نصح نبي الله لقمان **عَلَيْهِ السَّلَامُ** ابنه، فقال: ﴿وَأَقْصِدْ

(1) حوار الهادي الحسني، البليدة، أفريل 2016.

(2) باباعمي: أصول البرمجة الزمنية؛ الأولويات في البرمجة الزمنية؛ ص 213 وما بعدها. وانظر: الوكيل، محمد: فقه الأولويات، دراسة في الضوابط؛ سلسلة الرسائل الجامعية، رقم 22؛ المعهد العالمي للفكر الإسلامي؛ فرجينيا؛ 1416هـ / 1997م. القرضاوي: في فقه الأولويات، دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة؛ مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت؛ 1420هـ / 1999م.



﴿فِي مَشْيِكَ﴾ [لقمان: 19]، ولقد عرف عن سيّدنا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان «إذا مشى أسرع، وإذا قال أسمع، وإذا ضرب أوجع»⁽¹⁾.

ونقل عن ابن باديس أنه كان يسرع في المشي، ولا يضيع وقته سبهلاً، شأنه شأن من يحمل همّاً وهمّة؛ وفي ذلك ينقلُ الشيخ محمد الصالح الصديق هذه الحادثة المعبرة، في أول لقاء له بالإمام ابن باديس، قال:

«وفي اليوم الأخير من إقامتنا بالجزائر، التحق بنا خالي الشيخ محمد الطاهر، وأذكر أننا صلينا فريضة الظهر بالجامع الجديد، ثم خرجنا في اتجاه بورسعيد، ولما كنا في شارع باب عزون، التفت خالي إلى والدي، وقال له: ها هو الشيخ عبد الحميد. فخفق قلبي، ونظرت إلى حيث ينظران، فرأيتته مقبلاً نحونا، في خطوات سريعة، تنم عن الحيوية، والجِد والنشاط...»⁽²⁾.

(1) رواه ابن سعد في الطبقات؛ والطبري في التاريخ؛ وابن عساكر في تاريخ دمشق. وفي غيرها من المصادر.

(2) الصديق: ابن باديس من آرائه، ص 151.

5. الأزمنة الثلاثة، وفكرة الإصلاح والتغيير

الماضي والحاضر والمستقبل، هي الأزمنة الثلاثة المقيمة لصرح الزمن والحضارة⁽¹⁾؛ ولقد كتب فيها الباحثون الكثير؛ ولعلنا نختصر في بحثنا هذا على نماذج مقتضبة، تاركين المجال واسعا للبحث في فكر الإمام، من هذا المدخل البديع؛ ذلك أن الصورة الإدراكية لها تماثل الصورة المعرفية للعلاقة بالحضارة والمجتمع.

فعن الماضي، نقرأ مثلاً قول ابن باديس: «الإسلام الوراثي لا يمكن أن ينهض بالأمم؛ لأن الأمم لا تنهض إلا بعد تنبئه أفكارها وتفتح أنظارها.

(1) سجلت في كتاب «الزمن والوقت» هذه الملاحظة: «إن الزمن لأسباب كثيرة بقي خارج دائرة الحكم الشرعي التطبيقي نسبياً، وبخاصة فيما أنتج من فقه أوان تخلف المسلمين، فلم تدوّن مصادر وكتب، ولم تؤسّس تخصصات وعلوم، تحت مسمى فقه الزمن؛ رغم أن المصادر الأساسية من قرآن وسنة وتراث، تطفح بالنصوص، والمقاصد، والأحكام، والدلالات...»، ص 41.

والإسلام الوراثي مبنيٌّ على الجمود والتقليد، فلا فكر فيه ولا نظر»⁽¹⁾.

وعن الحاضر يبحث الإمام طلبته أن يكونوا أبناء وقتهم، وأن لا يتزمتوا ويجمدوا في الماضي، فيقول ناصحاً مرشداً: «حافظ على حياتك ولا حياة لك إلاً بحياة قومك ووطنك ودينك ولغتك وجميل عاداتك. وإذا أردت الحياة لهذا كله، فكن ابن وقتك، تسير مع العصر الذي أنت فيه، بما يناسبه من أسباب الحياة، وطرق المعاشرة والتعامل»⁽²⁾.

وأما المستقبل فيولي له الشيخ أهمية قصوى؛ لكنه يؤمن بفكرة المرحلية، ولا يختزل الخطوات، ومن ذلك نقرأ له قوله:

«إنَّ الذين يحاربون العربية هم يفرِّقون ويشوشون فسيندمون، وستنتشر العربية بقوة الحقِّ والفضيلة،

(1) آثار ابن باديس: (4/ 124).

(2) آثار؛ (4/ 43).

وهم كارهون»⁽¹⁾. ثم يحذّر من عواقب المستقبل، فيقول «نحن ننتظر، ولكن للانتظار»⁽²⁾ حدّ محدود، وإذا خاب أمل الأمة الجزائرية، فإنها لا تخيب وحدها، بل تخيب معها فرنسا أيضا»⁽³⁾.

وللذين يمارون في ابن باديس، ويتهمونه زورا بأنه لم يكن يفكر في استقلال الجزائر؛ ويتنكرون لفكرة المرحلية التي اعتمدها، نهدي هذه الفقرة التي تُظهر أنه كان يترقب الحرية بعين البصير، وفؤاد الخبير، ويقول في ذلك مستشرفا المستقبل بيقين:

«إنَّ الاستقلال حقٌّ طبيعيٌّ لكلِّ أمّة من أمم الدنيا، وقد استقلت أممٌ كانت دوننا في القوّة والعلم والمناعة والحضارة، ولسنا من الذين يدّعون علم

(1) آثار؛ (4/ 142).

(2) عن الانتظار في الدراسات الزمنية، انظر:

Edward T. Hall, *La danse de la vie: temps culturel, temps vécu*, Seuil, Paris, 1992.

(3) آثار؛ (4/ 119).



الغيب مع الله، ويقولون إنَّ حالة الجزائر الحاضرة ستدوم إلى الأبد، فكما تقلَّبت الجزائر مع التاريخ فمن الممكن أن تزداد تقلُّباً وتصبح البلاد الجزائرية مستقلةً استقلالاً واسعاً، تعتمد عليها فرنسا اعتماد الحر على الحر!...»⁽¹⁾.

ثم في سياق آخر يشدني قول الإمام: «نحن نحترم رأي الأقلية، ونؤمِّل بقاءها على رأيها؛ وهي تطالب بالاستقلال؛ وأي إنسان يا سادة لا يحب الاستقلال؟ إنَّ البهيمة تحن إلى الاستقلال الذي هو أمر طبيعيٌّ في وضعية الأمم»⁽²⁾.

ولكن، بالنظر إلى إجراءات العمل، وبحسبان الطريق السالك إلى الغاية، يُختبر المرء والمشروع

-
- (1) الشهاب؛ ج3، م12. ربيع الأول 1355هـ/ جوان 1936م. ويعجبني تعليق محمد الصالح الصديق على هذه الفقرة بقوله: «كان ذكر الاستقلال جواز مرور إلى السجن، إذا لم يكن جواز مرور إلى الآخرة. ومع ذلك فإنَّ الإمام الشيخ عبد الحميد يعلن في صراحة وتأكيد» هذه العبارة. ابن باديس من آرائه؛ ص126.
- (2) آثار؛ (4/ 118).



على عتبة «سداد المسلك»⁽¹⁾، فكم من غاية كبيرة مع مسلك خاطئ، انتهت بصاحبها إلى الهاوية، فأردى بمن معه إلى أسفل سافلين... واقرأ مشكلة الثورات العربية - فيما سمي الربيع العربي - على ضوء هذا المعنى.

وفي الجمع بين الأزمنة الثلاثة (الماضي، والحاضر، والمستقبل) يصوغ ابن باديس تعريفا دقيقا للوطن، بقوله: «الجزائر هي وطني الخاص، الذي تربطني بأهله روابط من الماضي والحاضر والمستقبل بوجه خاص»⁽²⁾.

ولعل فكرة الإصلاح التي شددت بتلابيب الإمام، جعلته يصوغ الكثير من الصور الفنية حول الزمن والتغيير، ومن ذلك قوله: «أصبنا بمصيبتين اثنتين ولمّا نصل إلى النتيجة: فأما البلاء فكان معجّلاً، وأما الإصلاح المطلوب فحظُّنا منه الانتظار»،

(1) سداد المسلك: من أسس نموذج الرشد، وانظر: محمد باباعمي: البراديم كولن؛ دار النيل، 2011.

(2) آثار؛ (4/ 112).

وقوله:

متى يبلغ البنیان يوما تمامه
إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم
ثم يعلّق: «فكيف إذا كنت تهدمه أيضا؟»⁽¹⁾.



(1) آثار؛ (4/ 57).

خاتمة

من يوم طلب مني أستاذي الهادي الحسناني أن أكتب بحثاً عن الإمام ابن باديس، وأنا أتوجّس خيفةً، مدركاً أنّ ما أكتبه لا ينبغي أن يكون «وصفاً وتوصيفاً»، في مرحلة تستدعي منّا الجِدَّ والجديّة، والبحث العلميّ الولود؛ ولكن، وعند اختياري للكتابة في «صورة الزمن عند الإمام»، تفتّحت أمامي مغاليقُ الفكر والفعل، ووجدتني أعيد قراءة حياتي على ضوء العالم العلامة: أصبح مساري، وأفصح كسلي، وأندم على تضييعي للوقت، وأستكثر نومي، وأستقلّ عملي، ثم أستصغر همتي، وأجد برنامجي اليومي هزيعاً... وأنتهي بمعالجة فعلية حيّة، لا مجرد محفوظة أو نصّ ميّت.

باختصارٍ، ليس يعنيني في شيء أن أدبج الألفاظ والكلمات، ولا أن أحلّل وأرّكب الأساليب والأفكار؛ وإنما الذي يعنيني، وأظن أنه يعني كلّ قارئ بصيرٍ، صاحب همٍّ وهمّة، هو أن نقتفي الأثر،

ونقتدي بمن وهب مهجته وعمره لدينه وأمته؛ ثم نحارب الاستحالة فينا، ونحتفي بميلاد الممكن في حاضرنا؛ ونحن نقرأ ونعيد «صورة الزمن عند الإمام عبد الحميد بن باديس»، عليه شآبيب الرحمة، وله منا السلام، وهو القائل:

«إِنَّ عُمَرَ الْإِنْسَانَ أَنْفُسُ كَنْزٍ يَمْلِكُهُ، وَلِحِظَاتُهُ مَحْسُوبَةٌ عَلَيْهِ، وَكُلُّ لِحْظَةٍ تَمُرُّ مَعْمُورَةً بِعَمَلٍ مُفِيدٍ فَقَدْ أَخَذَ حِظَّهُ مِنْهَا وَرَبِحَهَا، وَكُلُّ لِحْظَةٍ تَمُرُّ فَارِغَةً فَقَدْ غَبِنَ حِظَّهُ مِنْهَا وَخَسِرَهَا... فالرشيد الرشيد هو من أحسن استعمال ذلك الكنز الثمين، فعمر وقته بالأعمال، والسفيه السفیه مَنْ أَسَاءَ التَّصَرُّفَ فِيهِ، فَأَخْلَى وَقْتَهُ مِنَ الْعَمَلِ».

د. محمد بابا عمي

معهد المناهج، الجزائر

شعبان 1437هـ / أبريل 2016م

المحتويات

تمهيد	5.
1. عمارة الوقت بين الرشد والسفه	9.
2. عمر الإمام قصيرٌ، مباركٌ	15
3. البرنامج اليومي للإمام ابن باديس	20
أ. حلقة الدرس	21
ب. التأليف والكتابة	24
ت. الطعام	25
ث. النوم والراحة	27
ج. الرحلات الصيفية	29
4. مضيعات الوقت	31
أ. السينما والترفيه ونشأة الكشافة	32
ب. الجدل والصراع، والسفاسف	35
ت. قراءة «الأهرام»، في غير وقتها	37
ث. السرعة في السير والخطو	38
5. الأزمنة الثلاثة، وفكرة الإصلاح والتغيير	40
خاتمة	46
المحتويات	48